الأبعاد التعليمية للقواعد النحوية

الأستاذة: صفية طبني
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر– بسكرة

تمهيد :

للقواعد النحوية أهمية بالغة في حياة الفرد، ذلك أن تعلمها يسهل عليه تكلم اللغة، لأنه بذلك يعرف صحيح الكلام من خاطئه أثناء الأداء فهي تعمل على تنقية كلام الفرد من الأخطاء بأن تحمل المتعلم على التفكير و إدراك مواطن الأخطاء فيتجنبها,و هي آلية منظمة للغة الفرد بأن تجعله يختار التراكيب المناسبة و الصحيحة التي تؤدي المعنى وتحسن أسلوب المتكلم وتجمله من خلال العوارض المختلفة التي تظهر في الكلام من حذف و اضمار و تقديم وتأخير

إلا أنها في الوقت ذاته تمثل مشكلة من أهم المشكلات في تعليم اللغة , حيث اختلف في كيفية تدريسها , و الطرائق المناسبة لتعليمها في شتى المستويات, لأنها ضورية لتحقيق مطالب الاستعمال اللغوي اليومية للفرد, و بالتالي فتعليم القواعد ليس غاية في حد ذاته ,بل هو وسيلة لتقويم اللسان حتى لا يقع في اللحن و الخطأ

أولا: تعريف القواعد النحوية.

في الغة تأخذ هذه التسمية مادتها من الفعل المزيد قعّد بتضعيف العين, وهي جمع مفرده قاعدة أي الأساس وقواعد البيت أسسه كما جاء في لسان العرب

أما النحو فهو القصد من نحا, ينحو, وهو في الاصطلاح " انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب و غيره, كالتثنية و الجمع و التحقير, و التكسير,و الاضافة, والنسب, والتركيب,و غير ذالك, ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة,فينطق بها و إن لم يكن منهم,و إن شذ بعضهم عنها رد إليها"[(1)].

يمكن أن نقول إن القواعد بمثابة "الأداة أو الآلية التي تتيح للإنسان أن يتكلم اللغة، والتي تحدد شروط التواصل والتفاهم وضوابطها بين أبناء اللغة الواحدة" [(2)].

أي أن القواعد النحوية تساعد الفرد (مستعمل اللغة)في التكلم أي ا ستعمال اللغة المناسب والملائم لظروف التعامل والتواصل في المجتمع.

للقواعد النحوية أهمية كبيرة، وذلك يظهر في كونها تمثل تنظيما للغة، ولكن هذا التنظيم بالغ التعقيد، بحيث يعيق الترجمة الآلية من لغة إلى أخرى، فلكل لغة من اللغات تنظيمها الخاص أي إستقلالية النظام اللساني.

إن تعليم هذه القواعد يخضع لكثير من الشروط التي نلاحظ أنها أحيانا تجعل منها عملية معقدة لا يمكن تعلمها، خاصة لدى المتمدرسين، ونحن نعلم أن لكل لغة خاصتها الإبداعية بمعنى أن لكل فرد قدرة إبداعية أي التعبير عن الأفكار الجديدة دائما، وما يساعد في هذه الخاصية الإبداعية تلك القوانين التي "تربط بين المعاني الفكرية الكامنة في ذهن الإنسان وبين الأصوات التي ينطق بها في خلال عملية التكلم" (3).

يتم تعليم قواعد اللغة على نظرتين أو وجهتين: نظرة تقليدية، نظرة حديثة.

1. النظرة التقليدية:

نظر رجال اللغة التقليديون للقواعد نظرة ضيقة، فقد كانوا "يفردون الصفحات الطوال لتعريف الأسماء في الحالات الإعرابية المختلفة، حتى ولو لم يكن هناك إشارات ظاهرة صوتيا أو كتابيا، تدل على تلك الحالات، ولكنهم لا يعيرون كبير اهتمام إلى ما ما تدل عليه تلك الأشكال المختلفة من وظائف ومعان هي الأساس في الاستخدام اللغوي بأكمله" (4).

إن الغاية القصوى لهؤلاء هو التعريف بالأشكال اللغوية دون النظر إلى أنها تساعد في فهم المعنى الإجمالي والتعبير بالشكل المرجو، وهذا الذي جعلها معقدة وصعبة الدراسة من طرف المتعلمين، وصعبة حتى على المعلم الذي يحاول جاهدا تزويد المتعلم بها، فيجد تلك الصعوبة التي تحول بينه وبين خلق نماذج تتلاءم وتلك المصطلحات.

فرجال اللغة التقليديون يعطون تعاريف وأمثلة تعد بمثابة القاعدة التي لا يستطيع الإنسان الحياد عنها، رغم أن الكثير من رجال اللغة كما قال ابن خلدون: "لا يستطيعون التعبير اللغوي السليم، رغم معرفتهم التامة بقواعد اللغة" (5).

يحاول هؤلاء الحفاظ على الأصول اللغوية الصحيحة، والحرص على نقاء اللغة، وبذلك أعطوا لهذه القواعد تعريفات معيارية يعد الخروج عنها خروجا عن المألوف، وتكسير المعنى الجمالي لتلك الصيغ، فهم يقومون بـــ: "القضاء على البنى والتراكيب

اللغوية التي لا يرغبون في أن يروج استعمالها في اللغة ذلك حرصا منهم على سلامة اللغة وإنسجاما مع المقاييس الجمالية التي يتبنونها" [6].

يظهر تعليم القواعد وفق النظرة التقليدية من خلال ملاحظة كتب اللغة وتعليمها إذ أنها تعتمد المراحل التالية [7]:

- ملاحظة الأمثلة.
- التعريف بموضوع الدرس أو توضيح قاعدة لغوية.
- التمارين التطبيقية العائدة إلى الدرس.

وهذه المراحل تدل على أن التلميذ قام بتطبيق القواعد المنصوص عليها ضمن المنهج التقليدي حتى يصبح متمكنا من الكلام الصحيح ويستقيم لسانه انطلاقا من حفظه للقواعد ثم تطبيقها كما حفظها – وهي طريقة مستوحاة من البنيوية تلك التي تقف عند حدود البنية– من مثل التمارين التركيبية(أعرب ما تحته خط, حول الفعل من المعلوم إلى المجهول وهي تمارين في أغلبها تكرارية أي لها قوالب جاهزة تدعو إلى الجمود,و هو ما يجعلها سرعان ما تزول من ذاكرة المتعلم, الذي حفظها فطبقها على نماذج جاهزة

وهذا يقودنا الذهاب إلى: "أن تلك القواعد كثيرا ما تكون قاصرة، ناقصة أو حتى متناقضة"[8].

2. النظرة الحديثة:

احتلت المسألة النحوية المكانة الأولى في الدراسات اللسانية " فلقد اقترحت النظريات النحوية الجديدة كالنحو التوليدي و التحويلي نماذج جديدة تعد بنجاعة كبيرة في تحليل مجمل البنى الخاصة بلغة من اللغات مما ينتج عن هذا التحليل ديناميةً داخلية" [9].

تعتمد نظرة المحدثين للمتعلم إلى كونه ليس صفحة بيضاء، بل يولد الطفل وهو مزود بجهاز اكتساب اللغة، لذلك إهتموا بلغة الطفل لأنه يحمل في ذهنه قدرة تولد معه، تتكون من قواعد كلية وهي قواعد خاصة بجميع اللغات.

إن الدليل على ذلك عند أصحاب هذه النظرية، تلك القدرة على الإبداع، أي خلق نماذج لجمل وكلمات لم يسمعها من قبل أو سمعها وصاغ على شاكلتها وهي ما يسمى بالإبداعية في اللغة ومن الناحية التعليمية فإن هذه النظرة لا تجعل من الطفل "إنسانا سلبيا يستمع ويقلد ويكرر فحسب، بل تعطية أيضا دورا إيجابيا فعالا في هذه العملية" [10].

يقوم في هذه الحالة مدرس القواعد بالتركيز على نتائج ما توصلت إليه الألسنية الحديثة وذلك بالابتعاد عن المطبات التي كانت القواعد التقليدية توقعه فيها.

وبالتالي يقوم المعلم بتزويد التلميذ بالكفاية اللغوية أي القدرة على إدراك البنى اللغوية وإرتباطها بالدلالات الفكرية أي إدراج المكون الدلالي في القواعد بعد أن كان مبعدا في القواعد التقليدية.

أي أن تدريس القواعد يكون مرتبطا بالمواقف, تلك التي تستعمل فيها اللغة ضمن مقامات مختلفة مرهونة بأداءات خاصة , حيث يستعملفيها المتعلم القواعد طبقا لتلك المواقف التي يواجهها,و بالتالي نكسب التلميذ آليات استعمال اللغة, وهو الشيء الذي يجعل تلك القواعد ترتكز في الذهن لأنها ارتبطت باستعمالات تنمي الفكر , لأن هذه الطرق تبحث في أحسن الوسائل و تركز على ما يحتاجه المتعلمون, و بالتالي مساعدة المعلم في آداء واجبه التعليمي من خلال ربط المتعلم بالجو العام الذي يعيشه , أي ما يتعلمه وما يحدث حوله فيعطيه آلية التواصل

ثانيا: أنواع المعرفة النحوية:

من خلال ما تقدم يمكن تقسيم تلك المعرفة النحوية التي تتكون لدى الفرد إلى نوعين:

1. معرفة نحوية ضمنية(لا شعورية) :

وهي معرفة ضمنية بقواعد اللغة وهي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة أي "تلك التي يستخدمها (المتكلم) بشكل آلي وتلقائي في السلوك اللغوي" [11]، أي أن لكل متكلم لغة قواعد ضمنية كامنة ضمن كفايته اللغوية، يلجأ إليها دون تخطيط لذلك كلما احتاج إلى الكلام، وهي تلك القواعد "الكامنة ضمن مقدرة متكلم اللغة على إنتاج الجمل وتفهمها" [12].

فعند التعرض للغة أي ممارسة وظيفة الكلام فإن الفرد يعود إلى مخزونه اللغوي أي تلك المعارف اللغوية الضمنية لا إراديا لتقديم تفسير لتلك الرموز اللغوية, وبالتالي فالمعرفة الضمنية هي بمثابة ملكة لا شعورية وهي "العملية الآنية التي يقوم بها متكلم اللغة فيصوغ جملة طبقا لتنظيم القواعد الضمنية" [13].

وتتداخل مع هذا التعريف الكفاية اللغوية، إلا أن الفرق يكمن في كون الكفاية هي امتلاك آلية العمل اللغوي.

2. المعرفة النحوية المباشرة أو الصريحة:

هي "تلك الحقائق التي يعرفها الدارس عن اللغة وقدرته عن التعبير عنها بشكل ما" [14]

ففي استعمال المتكلم لمعرفته المباشرةفهو يعود إلى مخزونه اللغوي بطريقة إرادية وواعية ويختار منها ما يناسبه مقام الكلام كلما إستعمل اللغة، وفي مختلف ظروف المتكلم، وهنا نلاحظ أن هذه المعرفة الواعية هي ا ستعمال آني للغة أي تجسيد للمعرفة الضمنية، وهنا يظهر الأداء الكلامي الذي هو يجسد الكفاية اللغوية، ويصبح المعرفة المباشرة هي ذلك الكلام الملحوظ.

فالقواعد هي كيفية التحكم في الآلية النحوية، لأن متكلم اللغة يحتكم إليها في تحقيق السلامة والإبتعاد عن الأخطاء اللغوية، التي كثيرا ما تظهر عند استعمالنا الآني للغة أي أثناء الكلام.

إذن فكلتا المعرفتين تعتمدان على بعضهما، فلا تظهر المعرفة الضمنية إلا بعد تجسيدها من خلال المعرفة المباشرة، ويتحقق الكلام عند الرجوع إلى المعرفة الضمنية التي تكمن خلالها قواعد اللغة كلها وبالتالي فالمعرفة الضمنية هي الموجه والمحرك لآلية الكلام، أما المعرفة المباشرة فهي الانعكاس المباشر للكفاية اللغوية.

ويمكن أن نمثل لذلك بما أعطاه ميشال زكريا في كتابه "مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة" [15]، من أمثلة عن المعرفة الضمنية والمباشرة في تعلم اللغة الثانية يقول: "إننا حين نسعى إلى أن تعلم لغة ثانية، اللغة الفرنسية مثلا، إنما نحاول أن نحرز قدر الإمكان كفاية لغوية في هذه اللغة تكون مقاربة للكفاية اللغوية عند المواطن الفرنسي...، إلى أن يقول: "وذلك لأن للفرنسي معرفة ضمنية لا شعورية بقواعد لغة، بينما تكون معرفة الأجنبي بقواعد اللغة الفرنسية معرفة مباشرة، فالأجنبي يلجأ بصورة واعية إلى قواعد اللغة الفرنسية كلما أراد التعبير بهذه اللغة.

ثالثا: التصنيف التعليمي للقواعد النحوية.

القواعد النحوية كما رأينا سلفا ضرورية في حياة الفرد، وعلاقاته في مجتمعه فهو يحتاجها لتحكم كلامه وتعبيره في المقامات والسياقات المختلفة وتصنيف هذه القواعد تعليميا بمعنى تحديد هدف تعليم هذه القواعد وكيفية التعامل معها في شتى الظروف، لذلك تصنف القواعد تعليميا إلى:

1. القواعد النحوية العلمية التجريدية Grammaire Scientifique:

وهي تلك القواعد المؤلفة لغرض علمي أي أنها تمتاز بالتجريد في الصياغة، وقد وضعت أساسا للحفاظ على سلامة اللغة من الخطأ أو الانحرافات، فالتحليل العلمي "يهدف إلى تحديد بنية اللغة ووصفها وتفسيرها من دون أن يتصرف بهذه البنية" (16)، وهي قواعد خاصة بكل لغة من اللغات تمتاز بكونها تحدد النظام الذي تتكون منه اللغة، ووصفه كما هو وبالتالي نستطيع من خلال ا ستعمالنا لهذه القواعد العلمية التحكم في نظام اللغة، فتتكون لدينا معرفة نحوية ضمنية خاصة بكفايتنا اللغوية ضمن تلك اللغة، وهذه القواعد الكامنة اللاشعورية هي التي تقود عملية الكلام.

إذن تقوم هذه القواعد على إمدادنا بالقدرة على إصلاح ما نقوله، بأن نعالج أخطاءنا، وأن نعرف صحيح الكلام من فاسده،وهي تساعدنا في مواصلة الخطاب من خلال الرجوع إلى مخزوننا الضمني.

تمثل هذه القواعد العصب في فهم اللغة وتفسيرها، لأنها تمثل الطريقة التي تعامل اللغة على أساسها "فالمتحدث البليغ يتمتع بقدرة إستراتيجية مصقولة جدا" (17).

إن القواعد العلمية "قواعد تصف اللغة وتفسرها وتفيدنا بما يجب أن ندركه عن اللغة من حيث أنها تنظيم قواعد قائم بذاته" (18).

2. القواعد النحوية المعدة لغرض تربوي Grammaire Pédagogique:

وهي تلك القواعد التربوية التعليمية، والتي نحتاجها في العملية التعليمية، وتعني إختيار القواعد النحوية التي تكون المادة التعليمية، هذا في الواقع هو ختيار يستند إلى القواعد العلمية.

إذن تقوم القواعد التربوية بالرجوع إلى القواعد العلمية وتختار منها ما يلائم حاجيات المتعلم التعليمية، ويخضع هذا الاختيار إلى أسس منهجية تتعلق أساسا بالمتعلم من فروق فردية خاصة بالسن والقدرة الإدراكية وطاقة الاستيعاب لأن الهدف من وضع القواعد البيداغوجية هو تعليم كيفية استعمال اللغة في المجتمع واستعمال اللغة راجع إلى كفاية المتعلم أو قدرته على هذا الاستعمال.

وبالتالي فهذه القواعد تساعد المعلم (معلم اللغة) في إعداده المادة التعليمية

إذا كانت القواعد العلمية قد وضعت أساسا لتعلم اللغة فإن القواعد البيداغوجية قد وضعت لمعرفة كيفية استعمال اللغة.

3. القواعد النحوية الجاري تعليمها بالفعل: Grammaire Didactique

وهي تلك القواعد النحوية التي تدرس في قاعات الدرس "والتي تحاول إزالة الهوة بين علم اللغة من ناحية و تدريس اللغة من ناحية أخرى، و ذلك بمحاولة ربط هته القواعد اللغوية بالتجارب الواقعية للذين يستخدمون هذه اللغة و بالتالي للذين يتعلمونها " [19] إنها تعتمد أساسا على شروحات المعلم ، أي تلك القواعد المجسدة في قاعة الدرس ، سواء في إنتاجها (الحديث) أم في استقبالها (الفهم) في سياقات مختلفة تتضافر فيها مقدرة المعلم على إيصال المعلومات من خلال الشروحات التي ترسخ المادة التعليمية في أذهان المتعلمين ، و تدخل في ذلك طرق التدريس ، أي اختيار المنهج المناسب لكل مادة

فالمعلم يسعى إلى إمداد المتعلم بالآلية التي يمكنه من خلالها أن يكون لنفسه كفاية لغوية و هي معرفة ضمنية تؤهله لأن يتكلم اللغة و يستعملها ضمن سياقاتها المختلفة .

ولكي يصل معلم اللغة إلى تكوين هذه الملكة يجب أن تتوفر فيه شروط و هي: [20]

1/ أن يكون ملما بعلم اللسانيات : فالأستاذ يعلم تلميذه :

- مجموعة فئات نحوية كالاسم و الفعل و الحروف و الأدوات.
- لائحة بمفردات معجمية.
- لائحة أصوات لغوية .

2/ أن يكون على ا طلاع بعلم الاجتماع اللغوي (السوسيوألسنية) :

فاللغة مجموعة تصرفات كلامية في المجتمع ، لذلك وجب تعلم التلميذ قواعد استعمال اللغة في المجتمع و تطوير الكفاية اللغوية التواصلية ، أي ظروف التواصل المختلفة القائمة في البيئة الاجتماعية .

3/ أن يكون على ا طلاع بعلم النفس اللغوي (السيكوألسنية) :

فتعليم اللغة من الوجهة السيكوألسنية هو مجموعة مهارات كلامية أو نشاطات لغوية تمثل خبرة الإنسان و أفكاره و تفاعله مع العالم المحيط به ، و تساعد المعلم في عملية تحديد المادة اللغوية التي يعلمها.

لأن بلوغ درجة عالية من التعليم هو هدف أي نظام تربوي ، لكن تحقق هذا الهدف يتم بتضافر كل من المعلم و المتعلم و المادة التعليمية .

فعلى المعلم أن يعرض المادة على المتعلمين بطريقة ناجحة و فعالة ، بحيث تتلاءم مع جهد المتعلم في تقبلها على نحو جيد ، ثم تغرير المادة في أذهان المتعلمين لغرض استعمالها بطريقة عفوية .

القواعد النحوية المتعلقة بالفعل من قبل المتعلم (Grammaire Apprenee):

يتفاعل المتعلم مع مجموعة قواعد محدودة جدا ، يستطيع بواسطتها أن يتوصل إلى استنباط قواعد اللغة التي يملكها ، و تلعب هذه القواعد دورا أساسيا في تطوير معرفته و كفايته اللغوية ، تكون هذه العملية طبعا بمساعدة المعلم الذي يلعب دورا فعالا في تنمية قدرات المتعلم و هو ضروري في تزويده بالمادة التعليمية التي يعتمد فيها أساسا على مبدأ التدرج في عرض المادة .

اعتبر تشومسكي اللغة " قدرة فاعلة غريزية و فطرية ، هذه القدرة مختصة بالإنسان وحده ، و إعتبر القواعد مكنة أو آلة مولدة تستطيع أن تولد كل الجمل النحوية ، لذلك فإن المتعلم يحتاج فقط إلى القاعدة التركيبية التي تمكنه من فهم و خلق ما يريد من الجمل في أية لغة يشاء " (21)

إن هذه القاعدة هي الأساس الذي يستطيع من خلالها أن يكون لنفسه تلك المعرفة الضمنية للقواعد و التي تساعده في استعمال اللغة الاستعمال الصحيح ، و بالتالي تظهر لدى المتعلم مؤشرات تنبؤنا بأنه قد اكتسب تلك القواعد من خلال تطبيق بنى اللغة التي تعلمها على جوانب اللغة المختلفة ، مثل معرفته للقواعد الصرفية و النحوية التي تربط المفردات بعضها ببعض في الجملة .

<u>**هوامش وإحالات البحث**</u>

(1)ابن جني:الخصائص لابن جني, دار الكتاب العربي, بيروت ج34/1

(2). ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1985-1405، ص 75.

(3). نفسه، ص 76.

(4). نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1408-1988، ص 24.

(5). ابن خلدون، المقدمة، دار الرائد العرب، بيروت، الطبعة الخامسة، 1982، ص 560.

(6). ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية، ص 80.

(7). نفسه، ص 80.

(8). نايف خرما، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص 26.

(9)– صالح خديش ,اللسانيات الملفوظية و تعليمية اللغة , مجلة منتدى الأستاذ, العدد الأول أفريل2005, قسنطينة,ص 76

(10). نايف خرما,اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، ص 38.

(11). دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر: عبد الراجحي، علي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1994، ص 236.

(12). ميشال زكريا، قضايا ألسنة تطبيقية، دراسات لغوية إجتماعية نفسية مع مقرنة تراثية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1993، ص 61.

(13). نفسه، ص 62.

(14). دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص 236.

(15). ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعلم اللغة، ص 69.

(16). نفسه، ص 10.

(17). دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص 246.

(18). ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية، ص 11.

(19). عمار ساسي ، اللسان العربي في قضايا العصر ، ص 87 .

(20). ميشال زكريا ، مباحث في النظرية الألسنية ، ص 12 .

(21). مازن الوعر ، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، ص 115 .